بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمدُ لله رب العالمين، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أُنيب، وهو ربُّ العرش العظيم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، واتبع هداه إلى يوم الدِّين... أما بعد:

فإنه لا يكفي أن يتَّخذ المرءُ عملاً شريفاً في هذه الحياة، بل لا بُدَّ أن يمتلك مُقوِّمات النجاح فيه، ويعطيه كثيراً من وقته وجهده ليبدع ويتألق، ويعمّ النفع والفائدة على الفرد والمجتمع والأمة.

وها هي ذي الساحة الثقافية حاشدة بالمؤلفين؛ فطائفةٌ منهم لاقت النجاح؛ لأسبابٍ ذاتية وموضوعية، واتجهوا بكتاباتهم نحو فائدة الفرد والأمة، توضيحاً، وتوجيهاً، فعمَّ الخير، وانتشر الصواب، وبدا الواحدُ منهم صاحب قلم سيَّال، وأسلوب متميز، ورسالة حضارية إنسانية رفيعة المستوى.

وتختلف اتجاهاتُ المؤلفين، وتتنوَّع إبداعاتُهم، ولكنْ يبقى ثمة رابط يجمع بينهم، أَلَا وهو **المعايير الأخلاقية، والضوابط السلوكية؛ التي تُحلِّي حياتهم، وتجمِّل مسيرة سعيهم المعرفي، وشعورهم بالمسؤولية تجاه الحرف المقدَّس.**

وقد رأيتُ أن أضعَ لَبِنةً أولى لتلك المعايير والضوابط، كالصدق، والأمانة، والاستقامة، وإرادة الخَير للآخرين، ومحاسبة النفس... وشرحتُ فيها جُمْلةً من الأخلاق والقِيَم النبيلة التي تُزيِّن المؤلف، وتُحيطه بإكليل من الاحترام، والتقدير. وأقصد المؤلف القوي بحُجَّته، الأمين بتوجُّهه.

وأردفتُ ذلك بمقاييس أدبية تُحدِّد العلاقة من حيث الواجبات والحقوق؛ فيما يتعلق بالمؤلف وعلاقته بالناشر، وزميله المؤلف، والقارئ، والمجتمع، واتحاد الكُتَّاب، والإعلام... وكان ذلك من خلال خمس وأربعين ومئة مادة مُقنَّنة.

ولا شكَّ أنَّ كثيراً من هذه المعايير **مُحقَّق في حيِّز الواقع**، وكان الهدفُ من جمعها في هذا الكتاب؛ هو إرشادُ المؤلفين؛ ليسيروا في هذا المضمار على بيِّنة من الالتقاء على كلمة سواء.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أشكر الأخ الفاضل الأستاذ (حسن السماحي)، فقد كان نِعْمَ الناصح ـ كعادته ـ، فقدَّم ملاحظاته

القيِّمة، ونَظَراته الصَّائبة؛ التي كان لها أثرٌ بيِّنٌ على صفحات هذا الكتاب، فجزاه اللهُ خيراً، ونَفَع به، وحقَّق آماله، إنه ـ سبحانه ـ قدير، وبالإجابة جدير.

وما أُريد إلا الإصلاحَ ما استطعتُ، واللهُ الموفِّقُ لكل خير.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزِدْنا علماً يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق في ١/ شعبان/ ١٤٣١هـ

١٢/ تموز/ ٢٠١٠م

يوسف بديوي

مدخل

تمهيد:

للأخلاق جذورٌ عميقة، ضاربةٌ في طبيعة البشر، فأيُّ عبارةٍ أخلاقية تجد صدىً لها في نفوس الورى، فلا يمكن لأحدٍ أن يجحد الأخلاق؛ لأن جحودها هو جحود للإنسان نفسه، وهذا مُحال بحكم الواقع.

ومنذ القِدَم والناس يُسَرّون بمن جمع مكارم الأخلاق في ذاته وسلوكه وتعامله، وينظرون إليه بإعجابٍ منقطع النظير؛ كالعفو، والحلم، والإحسان، والصدق، والأمانة، والوفاء...

وأحكام الأخلاق كلها صالحةٌ، نافعة للفرد وللجماعة، عندما تنطلقُ من قاعدةٍ تقوم على المعايير الإلهية والعقلية، ومن ثم تنداح على بساط التطبيق، وحيِّز العمل[1].

ولما كانت المبادئ الأخلاقية ثابتة، راسخة في دنيا الواقع، فقد قام النظام الأخلاقي؛ الذي يُوجِبُ على المرء أن يوافق بين

(١) فلسفة الأخلاق في الإسلام، لمحمد جواد مغنية، (ص٢١).

سلوكه وأفعاله من جهة، وبين نظام الأخلاق من جهة ثانية، وعند ذلك يسمو الإنسان بهذا التوافق والتطابق.

ومَنْ تخلَّق بالأخلاق الحميدة فقد ارتقى في معارج الحياة، واتَّسم بمزيدٍ من الشمائل الفاضلة؛ التي تجعله قدوةً صالحة لغيره، ونموذجاً يُحْتَذى في حُسْن الخُلُق، وجليل الصفات. ومَنْ كان كذلك فقد بشَّره رسولُ الله ﷺ بمرتبة محبة الله تعالى له، ومحبة رسولِ الله ﷺ.

عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كُنَّا جلوساً عند النبي ﷺ، كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلّم منا متكلم؛ إذْ جاءه أُناسٌ فقالوا: مَنْ أحبُّ عبادِ الله إلى الله تعالى؟ قال: «**أحسنُهم أخلاقاً**»(١).

وقال ﷺ: «**إنَّ أقربكم مني مجلساً أحاسنُكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يَأْلَفُون ويُؤْلَفون**»(٢).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٨٦)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٢١) والطيالسي في مسنده (ص١٧١).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٢٠١٨)، والطبراني في مكارم الأخلاق (١٣).

تعريف الخُلُق:

مكارم الأخلاق هي: عبارة عن المبادئ والقواعد المصحِّحة للسلوك الإنساني؛ لتنظيم حياة الإنسان؛ على نحوٍ يحقق الغايةَ من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه[١].

وعلى هذا فإنَّ **الأخلاقَ نظامٌ من العمل من أجل الحياة الخيِّرة**، أي: طراز السلوك، وطريقة التعامل مع الآخرين، من حيث ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك، وذلك بناءً على مكانة الإنسان في الكون، ومسؤولياته التي يجب أن ينهض بها، وبناءً على ما وَضَعَ له خالقُه من أهدافٍ في هذه الحياة.

والأخلاق هي جوهر الدِّيْن، وروحه السارية في جميع جوانبه، ومصداقُ ذلك قول رسول الله ﷺ: «**إنما بُعثت لِأُتَمِّم مكارمَ الأخلاق**»[٢].

وهذه الأخلاقُ هي أنماطُ سلوك الإنسان في الحياة، سواء أكان هذا السلوكُ ظاهراً أم باطناً، فإنه يصدرُ من الإنسان بإرادة صادقة، ويهدف إلى تحقيق غاية نبيلة.

---

(١) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، لمقداد يالجن، (ص٤٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٨١)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٣).

والغايةُ من الأخلاق هي السعادة الحقيقية.

وتحاولُ الأخلاقُ إخضاعَ كُلِّ سلوكٍ لروح الفضيلة التي جاءت بها، وهي تستهدف من وراء ذلك صلاح الإنسان في هذه الحياة.

مكارم الأخلاق ضرورة إنسانية:

تقوم الحياةُ على محورين رئيسين، هما: التنظيم، والأخلاق.

* أما **التنظيم**: فهو الأخذُ بالأسباب لتوجيه الحياة توجيهاً مرتباً، مُبوَّباً، مُنَسَّقَاً، فلكي يتحقق النجاحُ لا بُدَّ من تنظيم التفكير، والتوجه، والعمل، والعلاقات، وبالتالي يسير المرءُ نحو الصواب والازدهار.

وتأتي المعرفة في قائمة مقوِّمات النجاح والتنظيم، فلا غِنى عنها؛ لأنها أساسُ قيام الحياة، فهناك المتخصص في علم من العلوم، وهناك العالم البارع، وهناك المصلح في مختلف أصعدة الحياة، وهناك المثقف واسع الاطلاع... وكلهم ينهلون من معين المعرفة، ويبتغون إصلاح الواقع، ورُقيّ الأمة.

فالعلم والأدب عَصَبُ الحياة، وشريان الوجود، والأخلاقُ

تُقوِّم ما اعوجَّ، وتُسدِّد ما اضطرب، وتعيد الحقَّ إلى أصحابه، وتُخفِّف من دائرة التعسُّف.

*وأما الأخلاقُ فهي فطرية في الإنسان، وعلى الفرد والمجتمع أن يُنَمِّيا هذه الفطرة الطيبة[١].

ولا تتحقق الأخلاقُ إلا من خلال التعامل مع الآخرين، وهذا يُعزِّزُ فكرةَ ضرورة التعاون، ونَبْذ العزلة. و«الإنسان بالمخالطة يُجرِّبُ نفسه، وأخلاقه، وصفات باطنة... والمخالطة ارتياضٌ بمقاساة الناس، والمجاهدة في تحمُّل أذاهم؛ كَسْراً للنفوس، وقَهْراً للشهوات»[٢].

ولا تقتصر الأخلاقُ على جانب واحد، بل تمتدُّ لتشمل الحياة برمَّتها، في جميع ميادينها وأنشطتها، فكلُّ عملٍ يتوجَّه لمساعدة الآخرين، أو يحقق لهم تكاملاً وخيراً، فإنه يحمل في أطوائه توجُّهاً أخلاقياً مهما قلَّ أو كَثُر.

وهناك مبادئ عامة في منظومة الأخلاق؛ لابُدَّ من تحقيقها

---

(١) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، لأندريه كرسون، ترجمة د. عبد الحليم محمود وغيره (ص٩٣).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي (٢/ ٢٣٨).

في سلوك الأفعال، ودَفْعها كي تُمارَسَ في خِضَمِّ الحياة. إذاً فالأخلاق هي منهج حياة.

فما قيمة الصدق ـ مثلاً ـ إذا بقي فكرةً في الذهن، ولم يخرجْ إلى الواقع؛ ليكون صفةً سلوكية تضربُ جذورُها في أعماق التعامل؟!

والمؤلفُ الناجح صادق فيما يقول، ويكتب، ويتوجَّه، ويبحث عن الحقيقة، ويلتزمها، ويحترمها؛ ليحرر الناس من العلل الخلقية، والنفسية، والاجتماعية...

حتى الشعراء بيَّنوا أهمية الأخلاق الحميدة، ودَوْرَها في تأسيس المجتمعات، ورُقيِّ الأمم، وأن انهيار الحضارة منوطٌ بانهيار الخُلُق القويم. قال أحمد شوقي:

وإنَّما الأمَمُ الأخلاقُ ما بقيتْ
فإنْ تَوَلَّتْ مَضَوْا في إثْرها قُدُما[1]

إن كل ما تقدم يدعو المؤلف للتحلِّي بالمبادئ الأخلاقية؛ في القول والفعل والحال، وأن تقوم المعاملاتُ كلها على مقاييس مكارم الأخلاق، وعندها تستقرُّ العلاقات، ويتمُّ الارتقاءُ من عالم السَّلبية؛ إلى سُمُوِّ الإيجابية الفاعلة.

---

(١) ديوان أحمد شوقي (١/ ٢١٧).

أقسام أدبيات المؤلِّف

تنقسم أدبياتُ المؤلف إلى قسمين اثنين، هما:

القسم الأول: المذكرة الإيضاحية: وهي اصطلاح قانوني، يعني: المقدمة لقانونٍ تُشْرَحُ فيه الموجِباتُ التي دفعتْ إلى سَنِّ هذا القانون. وهذه المذكّرة تُعَدُّ جزءاً من القانون، وليست شَرْحاً له.

القسم الثاني: معيار التزامات المؤلف، ويشتمل هذا المعيار على المنظومة الأخلاقية، وضوابطها، ومعاييرها؛ تلك التي يجدرُ الالتزام بها، وضَبْط العلاقات وَفْقها؛ لتحديد نقاط الارتكاز، وأُطُر طبيعةِ العلاقة بين كاتب الكلمة، وناشرها.

وقد وردتْ هذه الضوابطُ والمعاييرُ ـ في هذا الكتاب ـ بشكل موادّ مختصرة، تتضمَّن الكثيرَ من الأفكار القابلة للتطوير، والتوسعة، والتحديث، والتعديل.